قراءات

ما بعد الاتفاقية

ابراهيم شمو

تعد مصادقة البرلمان على اتفاقية الانسحاب للقوات الاميركية خطوة رائدة ومهمة نحو استقرار الوضع الامني تدريجيا وسعي العراق لكسب الهيمنة وفرض الارادة وتحسن مستقبلي على الصعيد المالي والاقتصادي وفي عدة جوانب وعلى كافة الصعد. المصادقة التي تمت بصورة سريعة نسبيا قياسا الى الكثير من الملفات التي مازالت عالقة في البرلمان تبرز اهم جانب ايجابي هو الانتهاء من ملف الانسحاب والذي طالب به عدة كتل واحزاب سياسية قبل سنوات وحلم طالما راود الكثيرين بضرورة وضع جدول زمني لانهاء الاحتلال ومغادرة القوات الاميركية للبلاد. وهذا ما تجلى في نبض الاتفاقية وهو ما يضع قواتنا البطلة واجهزتنا الامنية في المقابل امام عدة تساؤلات اهمها مدى جاهزية قوتنا لمهام واختبارات جديدة في تحمل المسؤولية رغم التحسن الملحوظ في القدرة والكفاءة مع المضي قدما في تسلم الملفات الامنية في اغلب المحافظات العراقية. وبانتهاء المصادقة على هذا الملف الذي اعده البعض شائكا ومعقدا. تطفو الى السطح ملفات طمست عميقا بقصد وبغير قصد. والتي "ظلت" معلقة لم يبت بامرها للان. ان الاوان لادراج تلك الملفات في قائمة الاولوية لمهام عمل الحكومة والبرلمان لدراستها بصورة جدية واتخاذ القرارات النهائية والمناسبة بشانها وعدم المماطلة بها بحجة انهاء الاوضاع السياسية المتازمة والتي اصبحت حال واقعنا اليومي السياسي من شد وجذب وخلاف واتفاق وتباين في وجهات النظر والتي بمجملها لا تنهي المسؤولين للقيام كل بدوره لتفعيل وسن قوانين من شانها دعم المؤسسات لاسيما الخدمية والتي تعاني من ارباك هائل نتيجة عدم وجود قوانين تستند اليها في مهام عملها والذي يعطي محصلة واضحة لحجم المعاناة وشدة الازمات بوجه كبير من شرائح المجتمع.

ما هي الفلسفة..؟

بقلم: خوشابا سولاقا

انه لمن الضروري جدا ان نسلط الضوء على المفاهيم التي يتناولها المثقف في حياته اليومية في مختلف مناحي الحياة الانسانية لكي يكون لاستعمال هذه المفاهيم جدواها وفعلها المؤثر على الحياة الانسانية، انطلاقا من هذه الرؤية نحاول تسليط الضوء بقدر المستطاع على مفهوم الفلسفة وتطوره عبر مختلف مراحل التاريخ البشري. تعني الفلسفة من الناحية الاشتقاقية محبة الحكمة، وتعني بالمعنى العام لها النظرة الشاملة الى المجتمع والحياة والوجود، وبهذا المعنى العام يمكن القول بأن لكل انسان فلسفته الخاصة، وبالتالي لكل مجتمع فلسفته ولكل مرحلة تاريخية من حياة المجتمع البشري فلسفتها الخاصة بها.

والفلسفة ليست مجرد نظرة فردية خالصة، بل هي خلاصة للخبرة والتجربة الانسانية في كل مرحلة من مراحل التاريخ البشري. ولهذا نجد ان لكل مرحلة من مراحل التاريخ، ولكل مجتمع من المجتمعات فلسفته الخاصة، التي تلخص معارفه العلمية وتبلور قيمه الاجتماعية العامة. ان الفلسفة لا تتنوع بتنوع مراحل التاريخ البشري وتنوع المجتمعات فحسب، بل تختلف باختلاف الاوضاع الاجتماعية في كل مرحلة تاريخية وفي كل مجتمع كذلك. ان الفلسفة تعبر عن الصراع الاجتماعي الدائر في مختلف المجتمعات ومراحل التاريخ. ولهذا فأن تاريخ الفلسفة هو التعبير الفكري عن التاريخ البشري نفسه، بكل ما يمتلئ به هذا التاريخ من تناقضات وصراع. ويكاد ينقسم تاريخ الفلسفة تماما كالتاريخ البشري بين اتجاهين اساسيين: اتجاه يعبر عن الاوضاع المتخلفة في المجتمع يلخص خبراتها ومصالحها ويسعى لتثبيتها واعطائها صفة الاستقرار الابدي. واتجاه اخر يعبر عن الاوضاع النامية في المجتمع ويسعى الى التغيير والتقدم والتجديد المتصل.

الاتجاه الاول هو ما يسمى بالاتجاه المثالي في الفلسفة والاتجاه الثاني هو ما يسمى بالاتجاه العلمي في الفلسفة. ويغلب على الاتجاه الاول المنهج الحدسي المعادل للعقل، اما الاتجاه الثاني فيغلب عليه المنهج العقلي.

وتاريخ الفلسفة في الحقيقة هو تاريخ الصراع الفكري عبر التاريخ بين قوى التقدم وقوى التخلف في المجتمعات البشرية. في البداية كانت الفلسفة تقدم رؤيتها عن المجتمع والطبيعة لا في صورة معارف متناثرة، وانما في صورة تنظيم نظري لهذه المعارف يجمعها نسق منطقي موحد. وكانت الفلسفة بهذا تتضمن مختلف العلوم. ثم اخذت العلوم تستقل شيئا فشيئا عن هذا النسق النظري الموحد وتكون لها فروع متميزة من حيث المنهج والموضوع. وخرجت العلوم من منهج التأمل الفلسفي النظري الى منهج التجريب العلمي، وراحت تحدد لها قوانينها الخاصة المستخلصة استخلاصا علميا تجريبيا. في القرن التاسع عشر استقلت العلوم جميعها عن الفلسفة وكانت فلسفة "هيجل" في هذا القرن هي نهاية تلك الانظمة الفلسفية الشامخة. ولكن ماذا بقي للفلسفة بعد استقلال العلوم..؟ لقد بقيت لها النظرة العامة بغير تخصيص محدد. ولهذا راحت تبحث في القسمات الشاملة والقوانين الاساسية للحركة العامة للوجود الانساني والطبيعي على السواء. ولا يعني هذا ان الفلسفة قد انعزلت عن العلم، وان العلم قد انعزل عن الفلسفة. ان الفلسفة في عصرنا الراهن تتخذ من نتائج النتائج العامة والقوانين الاساسية، وبلورة الرؤية الشاملة. وبهذا اصبحت الفلسفة فلسفة علمية، لا تتدخل في تفاصيل المعارف والتجارب العلمية لكنها في الوقت نفسه لا تنعزل عنها ولا تتناقض معها، وتفرض نفسها عليها، وهذه الفلسفة العلمية هي التي تعبر في عصرنا الراهن عن حركة التقدم الاجتماعي، بل هي اداة فعالة في دفع هذا التقدم نفسه. وفي مواجهة هذه الفلسفة العلمية تقوم فلسفة اخرى مناهضة للعلم، مناهضة للتقدم الاجتماعي. تتذرع بها القوى الاجتماعية المتخلفة لاشاعة روح التشاؤم والتخاذل واليأس وبث النظريات الجزئية الجانبية التي تحرم الانسان المعاصر من الرؤية العلمية الشاملة للطبيعة وللتجربة الانسانية.

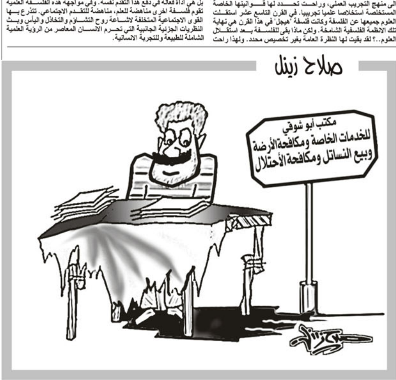

مجالس المحافظات بين المنجز والمعلن

حميد الموسوي

اذن بدأت الحملة الدعائية لانتخابات مجالس المحافظات بعد ان اذنت المفوضية العليا للانتخابات وحددت الثلاثاء الثاني من كانون الاول موعداً لانطلاق هذه الحملة.

ومن المؤكد ان جميع الحركات والاحزاب والكتل ستستخدم احدث ما وصلت اليه النظم المعلوماتية المقروءة والمسموعة والمرئية في مجال الدعاية والاعلان وبشكل باذخ ومكثف لابراز برنامجها الاسطوري ومرشحيها الاكفاء الاصلاء الانزه بحيث ان هذا البرنامج –وبوجود هذه النخبة من المرشحين المخلصين– في حالة فوزه سوف يخرج العراق من ظلمات الخوف والقهر والفقر الى نور الأمن والعدل والمساواة، وسيقضي على البطالة والفساد المالي والاداري وسيعيد لكل ذي حق حقه وسيوفر السكن المريح والعيش الكريم لجميع العوائل العراقية المتعففة. وعلى يدي هذا البرنامج ومرشحيه سيتم القضاء على جميع الازمات وفي مقدمتها ازمة الكهرباء والوقود والماء والمجاري والطرق والاختناقات المرورية وسيضع الموظف المناسب في الوظيفة المناسبة وسيعوض العراقيين عما فاتهم في سنوات القهر والاضطهاد والعوز ويصبحون في جنة الله على الارض.

من الطبيعي وانطلاقا من مبادىء المنافسة الشريفة ستتسابق الاحزاب والحركات والكتل واصحاب القوائم المفرزة لحجز اكبر عدد من الصحف والمجلات والاذاعات والفضائيات لبث الدعاية اللائقة ببرنامجها، وستتنافس وربما تستقتل في سبيل الاستحواذ على اكبر عدد واوسع مساحة من الجدران والساحات العامة في المناطق الاستراتيجية واماكن التجمعات خاصة وذلك لنشر اجمل الملصقات واكبرها وبالوان زاهية، ورفع انصع اللافتات والرايات والاعلام المحملة بشعارات مغرية متفائلة حالمة جذابة تصيب الناس بالدوار وتتركهم في حيرة من امرهم، يختارون من ويتركون من؟!.

من محاسن هذه الحملة انها ستفتح ابوابا لرزق الكثير من الناس في المطابع ومشتقاتها: الأحبار والأصباغ والورق والعاملين عليها والحمالين وعربات وسيارات نقل تلك الاطنان من الملصقات، وباعة الاقمشة وناقليها والخطاطين، وباعة الخشب والحبال والمسامير والصمغ وهي مواد لازمة للملصقات واللافتات، وهذه تحتاج لايدي عاملة لنقلها وتثبيتها على الجدران وفي الساحات العامة ومداخل ومخارج الشوارع الرئيسة والفرعية كما ان ازالتها ستتطلب جهودا استثنائية من امانة العاصمة وهذا الجهد بحد ذاته باب من ابواب الرزق للعاطلين اذ ستجند الامانة الوفا مؤلفة من افواج العاطلين لازالة تلك الملصقات واللافتات والرايات وجمع اوراق المنشورات. وهذا الامر لا ينحصر في بغداد بل سيعم جميع المحافظات وقد يكون هذا الجانب الحسنة الوحيدة التي تسجل للحملات الانتخابية. كذلك سيشمل الرزق اصحاب الامتياز للصحف والمجلات وادارات الفضائيات والمحليات والاذاعات.

لانريد من خلال هذه المقدمة التهكم او الاساءة الى العملية الانتخابية ولانستنكر على المرشحين –قوائما وافرادا– اساليبهم وطرقهم في الدعاية والاعلان، فذلك حق مشروع، وممارسة حضارية سبقتنا اليهما شعوب العالم المتمدن بعشرات السنين، لكننا اردنا التنبيه الى امور تسهم في انجاح هذه العملية الرائدة ومنها:

اولا: الاستفادة من التجربة الماضية وتلافي اخطاءها وفوضاها واستخدام الاساليب المبسطة المركزة في الدعاية والاعلان للقائمة وبرنامجها.

ثانيا: الدقة في اختيار المرشحين الجدد للقوائم مع احترامنا للمرشحين السابقين والذين تنكر بعضهم للجماهير التي رشحته واستغل منصب عضوية مجلس المحافظة لتحقيق مآربه الشخصية واثرى على حساب محافظته وناسه الذين لم يعد يتذكرهم. وهذا بحد ذاته السبب الاول الذي اصاب القواعد الجماهيرية بالاحباط والنكوص وجعلها تنفر من المشاركة في الانتخابات وتكاد تتهم الجميع بالاستحواذ وخيانة الامانة أحيانا.

ثالثا: التعهد للجماهير بانجازات تلامس حياتهم اليومية، انجازات معقولة يمكن الايفاء بها حتى وان كانت بسيطة ومحدودة فهذا افضل بكثير من تعهدات خرافية تنفر الناس اذ سبق وسمعوها من اعضاء برلمان لم يستطيعوا الايفاء بجزء يسير منها حيث انشغل بعضهم بمكافآة الباذخة وسياراته الفارهة ورواتبه المليونية ومخصصات افراد حمايته.

رابعا: تخصيص الجزء الاكبر من المبالغ المرصودة للحملات الاعلامية وصرفها على رفع معاناة المناطق المسحوقة وخاصة العوائل المهجرة ومناطق بيوت الصفيح التي لاتمتلك حتى سقوفا تقيها امطار الشتاء وبرده وشمس الصيف ولهيبه وقد تفشت فيها الامراض السرطانية والعاهات المستعصية.

لاشك ان انتخابات مجالس المحافظات محطة هامة في نهضة واعمار العراق بما تؤسسه من ادارات محلية ناجحة في ادارة المحافظات واقامة المشاريع الضرورية فيها حسب الاهم الذي يخدم المحافظة وينعش اوضاعها الاقتصادية والخدمية والصحية والاجتماعية والثقافية والتربوية وبشكل شبه مستقل عن تعقيدات المركز وبحريات وصلاحيات اوسع للمحافظة ومجلسها ومحافظها.

من هنا استوجب انجاح هذه العملية الرائدة والتي لا تحتمل الاخطاء كونها ستمارس في نستخها الثانية وقد مرت بتجربة اولى متلكئة متعثرة.

صرخة بنت الرافدين المدويه... لاتنسوا من نحن!!!

قحطان المعموري

منذ مايقرب العقدين من الزمان جمعني و "بنت الرافدين" مجال عمل مشترك في البلاد الجريحه.. ومنذ الأيام الأولى لعملها الجديد إتضحت معالم شخصيتها لجميع من زاملها، فها هي الشابة القادمة تواً من حياة التلمذة لتدخل عالماً جديداً يتسلح جُل منتسبيه بالخبرة والحرفيه، لكنها والحق يقال لم تنكفئ يوما على نفسها جراء شعور بالفشل أوبمرارة الخيبة أو الضعف بل كانت وعلى الدوام قوية متماسكة و واثقة الخطوه، مبادرة، تسأل هذا وتناقش ذاك طلبا للأستزادة من المعرفه وأصول المهنه التي سبقها الآخرون بأمتلاك ناصيتها. وفوق كل ذلك ثقافتها العامه والتقدميه خصوصا والتي سبقت عمرها كثيراً آنذاك وهي التي جعلتها محل تساؤل من هذا الجانب أو ذاك وخصوصا من أولئك الذين يعتقدون من أن الثقافه التقدميه تعني فقط السياسه وان من يحملها لابد و أن تكون له مرجعيات وأمتدادات سياسيه لابد من التحري عنها ومعرفتها.

إبنة الرافدين "كما يحلو لها أن تلقب نفسها"..الأبيه... "الثائره... شمعون البازي"، كتبت الكثير من النصوص الذاتية والوجدانية الجميلة والجريئة أحيانا.... إلا انها اليوم تخرج إلينا محتجة، غاضبة، كيف لا وأبناء جلدتها في العراق الجريح يُقتلون ويُهجرون ويخطفون لا لشئ إلا لكونهم يعتنقون دينا سماويا مختلفا عن دين هؤلاء القتله شذاذ الآفاق، أما عراقيتهم وآصالتهم فأنها وكما يبدو مرجعيات لم تعد تنفع في بلد إتخذ فيه ملوك الطوائف ومراجع فتاوى "القتل والكفير وسياسيوه الجدد "موديل ٢٠٠٣ فما فوق" ومن شتى الماركات السياسيه، دينية، قومية، طائفية، معيارا لنظامهم "الديمقراطي" الجديد.

هاهي اليوم وبعد أن فاض بها الكيل أكيالا "كما تقول" تصرخ بأسم أجدادها السومريين والآشوريين والأكديين الذين يحاول البعض اليوم التنكر لهم ولعراقيتهم الأصيله ويمارسون ضدهم شتى صنوف الإضطهاد والتطهير العرقي المنظم وهم "هنود العراق الحمر" أهل البلاد الأصليين الذين استوطنوا العراق قبل ظهور الأديان والقوميات والطوائف التي يتفاخر بها البعض وبتراثها اليوم. هاهي أبنة الرافدين تُذكر البعض "عسى أن تنفع الذكرى" ممن يتباكى اليوم عما فعل الديكتاتور به وبطائفته من إضطهاد وظلم، من أن هذا الديكتاتور لم يكتف بإضطهاد أبناء جلدتها الجسدي فقط بل إنه وقف يوما متبخترا وكأي ديكتاتور متعجرف على أطلال حضارتها الأنسانيه ليعلن من هناك زوال هذه الحضاره العظيمه لكي "يبني" مكانها وبكل بساطه "حضاره" جديده من الطابوق "الجمهوري" بعد ان نقش أسمه البائس على كل واحدة منها، وكأن قيام الحضارات يصدر بقرار حكومي أو فرمان رئاسي او رغبة حاكم معتوه.

هاهي إبنة الرافدين تصرخ مثلما يطلق الآلوف من أبناء جلدتها وبملء افواههم صرختهم التحذيريه... لاتنسوا من نحن!!! وإذا كان هناك ممن يصر على أن ينسى أو يتناسى، وممن لم يقرأ "مبادئ" تأريخ العراق جيدا، فلابد لنا من تذكيره، فنحن الذين كتبنا تأريخ العراق المجيد... نحن الذين إبتكرنا الحروف المسماريه وعلمّنا الأنسان القراءة والكتابه كما في الألواح والرقيمات الطينية السومريه.... ونحن أول من سن القوانين وشرّعها وما مسلة حمورابي إلا شاهدا على ذلك.... ونحن بناة القصور العظيمه ومعالم المدنيه الماديه الحديثه، وما الجنائن المعلقه التي هي إحدى عجائب الدنيا السبعه إلا دليلاً ساطعا على ذلك..... ونحن من سبرنا أغوار العلوم الأنسانيه المختلفه في الطب والفيزياء والكيمياء والفلك والرياضيات.... وفوق كل هذا وذاك فنحن الذين دافعنا عن هذا البلد العظيم وواجهنا كل غزوات الطامعين بأرضه وخيراته وحضارته. نحن لسنا ظاهره طارئه على هذا البلد، بل نحن ظاهره أزليه فيه غير قابله للإزالة او حتى ألإزاحه ، نحن مثل دجلة والفرات، وجبال كردستان وسهولها، مثل نخيل البصرة الباسق وبحيرة ساوه ونهر الغراف وقلعة اربيل والمنذنه الحدباء وبحيرة الحبانية ووووو الخ، فهل يتجرأ أحدا، كائن من كان على إزالة او إزاحة واحدة من هذه الأسماء والرموز العراقية العظيمه، أو أن يتنكر، او حتى أن يشكك في عراقيتها؟ سموا لي نبيا، وليا، خليفة، أميرا واحدا للمؤمنين أو لغيرهم فعل ما فعلتم بالمسيحيين اليوم!! ها هو نبي المسلمين الذي يدعي البعض من المتأسلمين الجدد حمل رايته وهو برئ منهم براءة الذئب من دم يوسف، يقول للنصارى وهو في أوج قوته "لكم دينكم ولي ديني"، ولم يذكر لنا التأريخ حملة منظمة لقتل المسيحيين وتهجيرهم قام بها دعاة دين او قومية أو مذهب كالتي نشهدها اليوم، هذه الحمله التي مهد لها و"شجع" عليها برلمان العراق "بقصد أو دون قصد" عندما ألغى الماده "٥٠" الخاصه بتمثيل الأقليات في بعض مجالس المحافظات مستكثرين عليهم مقعد أو مقعدين في هذه المحافظه أو تلك لكونهم أقليات غير معروفة العدد كما يدعي بعض السياسيين الجدد، ولا ادري أي حديث هذا عن الأقلية والأغلبية في بلد يراد له ان يكون تعدديا ديمقراطيا بحكمه دستور ينص على أن جميع العراقيين متساوون في الحقوق والواجبات بغض النظر عن الدين أو القومية أو المذهب.

نعم يا أبنة الرافدين وابنة العراقيين جميعا، فلم ولن يستطيع أيٍ كان ومهما كان رداءه، دينيا، قوميا، طائفيا "وهي أردية سياسية في كل الأحوال" من أن "يشوه حقيقتكم ويطمس معالمكم ويقتل أحلامكم" فأنتم الحقيقه المنثوره في أديم هذه البلاد ومائها وهوائها ولكم في كل بقعة عراقية دالة وشاخصة تشير اليكم. ألم يكن يوسف سلمان يوسف "مسيحيا" وهو الذي سار خلفه وحمل رايته فلاحو الشطره والجبايش وعمال موانئ البصرة وابناء الجزيرة في الرمادي وفلاحو كردستان وفقراءه؟ هل سأل أحد يوما عن "تصرانيته" وشكك بوطنيته وعراقيته في وقت كان للدين شأنه وأهميته؟ هل شكك أحد يوما بوطنية وعراقية توما توماس او سليمان يوسف اسطيفان او جورج تلو أو خالد يوسف متي مثلا بسبب دياناتهم وهم الذين ناضلوا في سبيل حرية الوطن وسعادة شعبه؟ ألم تصرحوا مرارا اليوم مثلما كنتم بالأمس ومن على فضائياتكم وصحفكم الصفراء من أن مكاتب الهجره الدولية الخاصة بالمسيحيين والأقليات الأخرى تنتشر في دول الجوار العراقي وان دول الأتحاد الأوربي وحتى أميركا تشجع على هجرتهم وأعادة توطينهم في المدن المختلفه لهذه الدول؟ إذن ما الذي يدفع هؤلاء للبقاء في الحمدانيه أو تلسقف أو القوش أو تلكيف أو في أحياء السكر والنبي يونس وغيرها من أحياء الموصل الشعبيه يواجهون الأضطهاد والقتل وهم الذين يستطيعون العيش في لاس فيجاس أو ستوكهولم أو باريس أوميونيخ مثلا معززين مكرمين يمارسون طقوسهم الدينيه وتراثهم الشعبي ولغتهم القوميه الى غير ذلك من أهتماماتهم الأنسانيه التي إفتقدوها او التي صودرت منهم عنوة في بلدهم الأصلي ظلما وعدوانا؟ أليس هو الحب لوطنهم وأخلاصهم له والتشبث بأرضه رغم كل الظروف؟ ثم أليس هذا كافيا لأثبات وطنيتهم وآصالتهم ولجعل الآخرين يدركون بأن الأمه التي تضطهد أمة أخرى لايمكن أن تكون حرة على الأطلاق وإن بناء العراق الجديد يتطلب تظافر كل مكوناته الأساسيه ودون النظر الى عدد هذا المكون أونسبته ليكون بحق عراقا للجميع لقد بدأت صرختك بعبارة "آن الأوان لأبلّغ العالم"

وانا أقول لك يابنة الرافدين، اللهم إنك قد بلغت.....اللهم إنك قد بلغت ....

شتّان بين وضعين

نبيل شانو

أفرزت انتخابات الرئاسة الأميركية الأخيرة وصول رئيس جديد إلى البيت الأبيض، في ولاية أمدها أربع سنين قادمة، أهمية الخبر لا تكمن في نتائج الانتخابات وفوز هذا المرشح أو ذاك، إنما الأهمية تكمن في المرشح الفائز وخصوصيته العرقية والثقافية، فالرئيس الجديد "باراك حسين أوباما" هو أول رئيس أسود يشغل البيت الأبيض منذ استقلال الولايات المتحدة الأميركية، وهو ابن مهاجر كيني قدم إلى أميركا في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، متأملا الحصول كغيره من المهاجرين على فرصة جديدة في الحياة، وهناك يتعرف على فتاة أميركية من العرق الأبيض ويتزوج منها، لينتج عن ذلك الزواج طفل سيكون له في المستقبل شأن كبير في الحياة السياسية الأميركية والعالمية، وعلى الرغم من الصعوبات العائلية التي مرّ بها في صغره، إلا إن ذلك الطفل يجتهد في تعليمه الأولي، و يكمل أخيرا دراسته في إحدى الجامعات الأميركية المعروفة، ينضم بعدها إلى العمل السياسي والإنساني وهو في ريعان الشباب وينجح في هذا المجال أيضا مدعوما بشخصية كارزمية ومنطق جذاب وخبرة قانونية " كونه محاميا" كل ذلك أهله كسب عقول وقلوب وبالتالي أصوات الناخبين في الانتخابات الأخيرة وبفارق كبير عن منافسه.

ما يهمنا هنا كمراقبين هو ليس شخصية الرئيس الجديد أو رؤيته لسياسة بلده الداخلية والخارجية، وإنما البيئة المجتمعية التي سمحت لهذا الشخص الذي هو من أصول أفريقية من أن يتصدر الموقع الأول وفي الدولة العظمى الأولى في عالم اليوم، فعندما يصل مجتمع ما إلى قمة العطاء الثقافي والأخلاقي فأنه يتجاوز الأطر الشكلية الضيقة للفرد من شكل خارجي أو انتماء عرقي، بل ينظر إلى المضامين الفاعلة الداخلية له ومقدار الخدمة التي يمكن أن يقدمها للآخرين، فمن المعروف عن الأميركيين من الأصول الأفريقية أن نسبتهم لا تتجاوز ١٣% من عدد السكان، وعمرهم في هذا البلد ليس أكثر من ثلاثمائة وخمسين عاما، وقد جلبوا إليها أساسا للعمل كعبيد في المزارع والحقول، بمعنى آخر أنهم ليسوا أو لا يعتبروا من سكان البلد الأصليين، وقد استمرت السياسة العنصرية تمارس ضدهم حتى عقد الستينيات من القرن الماضي، حيث الغيت كافة القوانين العنصرية حينها، لتكسر الحواجز ولتتلاشى الطبقات في ضوء المساواة بين أفراد المجتمع أمام سلطة القانون، ولتجني تلك " الأقلية " ثمار العدالة والتسامح أخيرا بانتخاب أحد أفرادها رئيسا للسنوات الأربع القادمة.

ان الفضل في ذلك أولاً وأخيراً يعود إلى المجتمع الأميركي الذي شرع من القوانين ما يصب في خدمة كافة المواطنين دون استثناء، وما يجعل من الفرد قويا ومتسامحا مع الآخرين في ذات الوقت، فالمهم في الموضوع هو عدم النظر إلى الآخر من منظار عرقه أو دينه أو مذهبه أو لونه، إنما المهم هو كفاءته ومقدار الخدمة التي سيقدمها لذلك المجتمع، وهذا ما دفع الكثير من الناخبين ومنهم البيض تحديدا التصويت للمرشح الأسود.

في المقابل نجد أن الوضع مختلف في مجتمعاتنا اختلافا جذريا، ولو أخذنا العراق كمثال واقعي نقول أنه وبعد التغيير الذي كان من المفترض أن ينقلنا من حالة الشمولية وإلغاء الآخر، إلى حالة أخرى من التفاهم والعمل المشترك المستند إلى العدالة والتسامح " ولو شكليا !"، ليتبين أن حالة الإقصاء المعشعشة في عقول ونفوس الكثيرين لا زالت مستفحلة ومرسخة بطريقة مرضيّة، وهذا الأمر ليس صعب الفهم والتقييم على أصحاب الخبرة والتخصص في المجالات التي تدخل في صلب تطور المجتمعات الإنسانية، فواهم من كان يراهن على التغيير المباشر إن من ناحية المنظومة القيميّة العامة أو من ناحية الالتزام بالأنانية الفردية والجمعية المستندة إلى المصالح الخاصة، حيث أن المسألة لا تتعلق بتغيير ملبس أصبح ضيقا علينا أو قطعة أثاث لم يعد مرغوبا بها، بل بمفاهيم وقيَم جديدة كنا نستنكرها سابقا وحتى الأمس القريب على اعتبارها "هدامة" ولا يمكن تطبيقها في مجتمعاتنا، مفاهيم وقيَم من مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان وقبول الآخر، وخير مثال على كلامنا هذا ما جرى ويجري مع "الأقليات" الأصيلة في وطننا العراق، وأخصّ بالذكر شعبنا المسالم الكلداني السرياني الآشوري، فمن يستهدف شعبنا مؤخرا بالقتل والترهيب والتهجير لا يقوم بفعلته انتقاما لجريمة قام بها أحد هؤلاء المسالمين لعدم وجودها أصلا ، إنما يدفعه لذلك ثقافة الإقصاء والتهميش ومصالح يجب تحقيقها والحفاظ عليها، حتى وإن تطلب ذلك تهجير شعب كامل من منطقة لأخرى، وللأسف فأن تلك الممارسات لم تقتصر على "الخارجين" عن القانون فقط، بل أن التهميش والإقصاء قد مورس من قبل الشركاء في العملية السياسية الحالية أيضا وبطرق أكثر مكرا وخبثا، وخير دليل على ذلك هو التعامل مع المادة "٥٠" من قانون انتخابات مجالس المحافظات ومسألة الكوتا الخاصة بتمثيلهم في الحكومات المحلية، حيث الكل قبلها كان قد ذرف الكثير دموع التماسيح من أجل الأقليات وحقوقها الواجب تمتعهم بها كونهم مواطنين من الدرجة "....." !! ولم يحرك هذا الكل ساكنا من أجل تغيير ذلك الواقع، بحيث أمست هذه الأقليات ومنها شعبنا الكلداني السرياني الآشوري مجموعة من البشر خائفة ليس من خطر داهم قادم من الخارج يهدد وجودها، بل من أخوة وأشقاء شاء القدر أن يعيشوا معه على هذه الأرض!! .

إن المضحك المبكي في هذا الموضوع هو أن أميركا التي لا يتجاوز إرثها الحضاري عدة مئات قليلة من السنين قد أعطت مثالا رائعا لنفسها قبل الآخرين، مثال قد نحتاج "كعراقيين" إلى فترة طويلة من الزمن لكي نستوعب قيمته الأخلاقية والحضارية، فهي قد قضت على بقايا قلاع العنصرية والإقصاء بنتائج عملية الانتخابات الماضية، بينما نلاحظ بداية النهاية لتلاشي الأقليات الدينية والعرقية إن بالقتل والتهديد أو بالهجرة الكيفية أو بالتهجير ألقسري من وطن طالما أعتبر تاريخيا منارة للحضارة ومركزا لبعث الإشعاع العلمي والقانوني، فهل من الإنصاف أن يولد أحفاد أولئك ويعيشوا على أرضهم كضيوف، ومن ثم يموتوا في بلاد أخرى كغرباء؟ . ختام القول إننا لا نرمي لأن يكون رئيس العراق من الأقليات كما حصل في أميركا، فهذا الأمر لن يتحقق في المستقبل المنظور على الأقل، إنما نريد أن يكون لدينا رئيس كفء لنظام عادل، يأخذ فيه كل ذي حق حقه.